التنويم المغناطيسي

(تابع لما في الجزء السابق)

وكان في بوزَنْسي من بلاد البلجيك واحدٌ من خرّيجي مسمر يقال لهُ المركيز پويزِّيجُور وكان يتعاطى المعالجة بالمغناطيسية الحيوانية على نحو ما كان يفعل استاذهُ فلبث مستمرًّا على عمله بعد انقطاع مسمر عن العمل. وبينما كان يجري امتحاناتهِ على المرضى ظهر لهُ ان للمغناطيسيـة الحيوانية خاصيةً لم تكن معروفةً من قبل وهي انهُ وجد بعض الذين يمغنطهم كان يعرض لهم نوعٌ من السبات فيتوقف فيهم الشعور الظاهر وتبطل الحركات الارادية لكن تبقى القوى الباطنـة مستيقظة بل يشتدّ تنبهها كثيراً الى حدّ أن تستغني عن الحواسّ الظاهرة وتدرك المغيَّبات . وهذا ما سُمّي بالتنويم المغناطيسي ويسمى ايضاً بالتنويم الصناعي والسبات العصبي

واذ ذاك عمد الى شجرةٍ قديمـة من النوع المسمى بالدردار كانت في وسط البلدة فمغنطها وعلّق باغصانها حبالاً تنقل القوة المغناطيسيـة ووضع حول الشجرة مقاعد مستديرة كان يُجلِس المرضى عليها فيأخذ كلٌّ منهـم بطرف واحدٍ من تلك الحبال ويجعـلهُ على موضع دآئهِ يستشفي بهِ . ثم يعرض على مرضاهُ ان ينوّم من شآء منهـم وكان ينوّمهم بلمس يدهِ او اللمس بطرف مخصرة حديدية فكان يحـدث عن هذا التنويم نفس التأثير الذي يحدث عن الذرائع السابقة

ومن ذلك الحين انتشر امر المغناطيسية الحيوانيـة وكثر متعاطوها

حتى ان بعضهم اتخذوا لها اماكن خاصَّة كانوا يعالجون فيها المرضى بواسطة اناسٍ ينوّمونهم ويستخبرونهم عن حقيقة امراضهم والادوية الشافية لها ويخصصون مشاهد للعامَّة ينوّمون فيها اناساً أرصدوهم لهذه الغاية فينبئون بالمغيَّبات ويشاهدون ما وراء الاجسام الكثيفة الى ما شا كل ذلك مما غلبت فيهِ الخزعبلات ووجد فيهِ الممخرقون مجالاً واسعاً لسلب اموال الاغرار

وكانوا يتفننون في التنويم على عدة طرائق منها انهم كانوا يُجلسون المنوَّم على كرسي ويجلس الممغنِط على موضع ارفع منهُ قليلاً ووجههُ اليهِ وبينهما نحو ٣٠ سنتيمتراً . ثم يأخذ يدي المنوَّم بحيث تتلامس بواطن الاباهيم من الفريقين ويُحدّ نظرهُ اليهِ ولا يزال على ذلك الى ان يشعر بحدوث حرارة متساوية بين الاباهيم المتلامسة ثم ينزع يديهِ ويديرهما من حول يدي المنوَّم حتى يضعهما على كتفيهِ ويتركهما كذلك نحو دقيقة ثم يرسلهما ببطء مع رعشةٍ خفيفة على طول يديهِ الى اطراف الاصابع ويكرر ذلك خمس او ست دفعات . وبعد ذلك يضع يديهِ على رأسهِ ويتركهما حيناً ثم ينزلهما ويمرّ بهما امام وجههِ على مسافة ٣ او ٤ سنتيمترات حتى يبلغ الى مؤازاة اعلى البطن فيقف بهما هناك معتمداً على اصابعهِ ثم ينزل بهما ببطء على طول جسدهِ الى القدمين . وربما مغنطوا بمجرَّد امرار اليدين من الرأس الى القدمين بدون ان يقفوا بهما على موضعٍ من الجسد ويعبرون عن هذا النوع بالمغنطة بالمجاري الكبرى

واذا ارادوا ايقاظ النائم يعيدون امرار اليدين على نحو فعلهم في المرة الاولى لكن يجاوزون بهما اطراف يديهِ ورجليهِ وهم في كل مرةٍ يُرعِشون

اصابعهم واخيراً يُمرّون ايديهم امام الوجه والصدر امراراً افقياً على بعد ٨ او ١٠ سنتيمترات من الرأس وهم يُدنون احدى اليدين من الاخرى ثم يبعدونهما فجأةً ويعيدون ذلك مراراً كانهم يبددون القوّة المغناطيسية الى الخارج . واحياناً يضع الممغنط اصابع يديهِ امام رأس النائم ومعدتهِ على بعد ٨ او ١٠ سنتيمترات ويتركهما كذلك مدة دقيقة او دقيقتين ثم يبعد احدى اليدين عن رأسهِ او معدتهِ ويقرّب الاخرى وبالخلاف على التعاقب وهو يسرع في حركتهِ مرةً ويبطئ اخرى وينفض يديهِ كما يفعل من ينفض سائلاً عن اطراف اصابعهِ . على انهُ لا ينام الا عددٌ قليل من الذين يراد تنويمهم وقلما يحدث النوم من اول مرةٍ بل لم يكن يتمّ في الغالب الا بعد ثماني او عشر مرات بيد أن النسآء على كل حال اكثر قبولاً لهُ من الرجال

غير ان هذه الطرائق كلها قد أُهملت اليوم واستُبدل منها طريقة الدكتور برّايد من اهل منشستر وهي ليست من المغناطيسية في شيء ولكن يحدث بها عين ما كان يُدَّعَى حدوثهُ بالمغناطيسية الحيوانية . وذلك ان يعمد المنوّم الى جسمٍ لامع كنصاب مبضعٍ مثلاً يأخذهُ بين الابهام والسبابة والوسطى من اليد اليسرى ويجعلهُ امامَ عيني المنوَّم على مؤازاة وسط الجبهة وعلى بعد ٢٠ او ٤٠ سنتيمتراً ويأمرهُ بان يُحدّ بصرهُ الى ذلك الجسم ويحصر فكرهُ فيهِ فلا يمضي قليلٌ حتى يتشنج جفناهُ ثم يشعر فيهما باسترخآء وميل الى الانطباق . وحينئذٍ يُنزِل المنوّم يدهُ الى مؤازاة العينين ويشير اليهما بالسبابة والوسطى بعد ان يمدّهما ويفرّجهما قليلاً فيسقط الجفنان وينطبقان انطباقاً اضطرارياً يصحبهُ نوعٌ من الاضطراب . وبعد

ان يأتي على ذلك نحو ١٥ ثانية يصير المنوَّم بحيث اذا رُفعت يداهُ او ساقاهُ برفق ابقاها كذلك واذا كان التنويم ضعيفاً فردّهما يأمرهُ بصوت لطيف ان يبقيهما على ذلك الوضع . واذ ذاك لا يلبث النبض ان يسرع بشدة وبعد قليل تفقد الاعضآء مرونتها وتبقى ثابتةً على وضعٍ لا يتغير فيتحقق ان النوم قد استتبّ . ويُعرَف هذا النوع من التنويم بالهپنوتسم وكان اكتشافهُ سنة ١٨٤٣

ومن الذرائع المستعملة في ذلك احداث صوتٍ فجآئي كالقرع على صنجٍ ونحوهِ او اظهار نورٍ ساطع كالنور الكهربآئي أو اشعة الشمس منعكسةً عن سطح مرآة . وربما أُحدث النوم بمجرد الاذعان وذلك بان يؤمر العليل بان ينام ويكرَّر ذلك عليهِ مع التحتيم . ومتى حدث النوم اصبح النائم طوع ارادة المنوّم فلا يخالف لهُ امراً حتى لقد يأمرهُ باعمال يتمها بعد ان يستيقظ فيفعلها بالصورة التي امرهُ بها وفي الساعة التي عينها لهُ من غير ان يتذكر انهُ قد أُمر بها ولا يعلم السبب الذي لاجلهِ يفعلها . ويمكن ان يصيّرهُ في حالة الشلل او التشنج ويحملهُ على ضروبٍ مختلفة من الحركات والاعمال وهو في حال النوم وربما مثَّل لهُ منظورات او مسموعات او غيرها لا وجود لها في الخارج حتى انهُ قد يقنعهُ بتبدُّل هويَّتهِ فيتوهم في نفسهِ انهُ فلان او فلان ويكون في جميع ذلك منقاداً تمام الانقياد من غير ادنى توقف في الاذعان او تردد في الاعتقاد ولكنهُ اذا استيقظ لم يبقَ في محفوظهِ شيء من كل ما مرَّ بهِ على الاطلاق . ويمكن ان يُقنِع العليل في حال النوم اذا كان بهِ شللٌ مثلاً ان الشلل يزول منهُ بعد ان يستيقظ

وقد يقع ذلك بالفعل الا انهُ لا يطَّرد دائمـاً واكثر ما يصدق في المصابين بالهستيريا على انهُ قد عُلِم ان التنويم كثيراً ما يكون سبباً في ظهور الهستيريا اذا كانت كامنة وفي اشتدادها اذا كانت موجودة

وقد بحث العلمآء في امر هذا التنويم بحثاً دقيقاً مستقصًى حتى صار من جملة المباحث العلمية في هذا العصر ووضعوا لهُ حدوداً ووصفوا اطوارهُ التي يتنقل فيها النائم من اول اعراض الذهول والجمود الى بطلان الحس في الاعضآء الظاهرة وطاعتها للمنوّم في كل ما يحملها عليهِ من الاوضاع والحركات الى تنبُّه القُوَى الباطنة لاجرآء اعمالها الغريبة وانقيادها لسلطان المنوّم على حدّ انقياد الاعضآء الظاهرة في الطور السابق . ولهم في كيفية حدوث ذلك واسبابهِ مذاهب شتى فلسفية وطبية لا يسعنا نقلها في هذا الموضع

وقد زعم بعضهم انهُ توصل الى امورٍ اغرب كثيراً مما سبق منها ما حكاهُ الدكتور لويس احد اطبآء مستشفى الرأفة بباريز من نتائج امتحاناتهِ في المستشفى المذكور ومعظم تلك الامتحانات يدور على استخدام المغناطيس المعدني والمعالجة عن بعد . فانهُ كان باستخدام المغناطيس المعدني يُحدِث على المرضى مفاعيل مختلفة اغربها زوال الشلل او الآلام العصبية او انتقالها من موضعٍ من الجسم الى غيرهِ مرضيَّةً كانت او مُحدَثة بطريق الايهام . واما المعالجة عن بعد فذكر انهُ كان يُدنِي من المنوَّم قارورةً فيها نوعٌ من انواع الدوآء حتى بدون تنبيه العليل اليهِ فيحدث عنهُ الاثر الذي هو من خصائصهِ . مثال ذلك ان يدني منهُ قارورةً فيها شيءٌ من الاشربة

الكحلية او حُقَّةً فيها شيءٌ من عِرق الذهب فان مجرَّد دنوّ الاولى منهُ يغيبّهُ في سكر ودنوّ الثانية يحملهُ على القيء وذلك من غير ان يذكر لهُ شيئاً عنهما بل من غير ان يكون لهُ سبيل ان يعلم بوجودهما معهُ لان الامر نفسهُ يقع وهما مخبوءتان في جيبهِ . واغرب من ذلك ما ذُكر عن غيرهِ من انهُ يؤثر في النائم تأثير الدواء بدون ان يكون موجوداً في الحضرة اصلاً وذلك بمجرَّد الايهام فيسقيهِ كاس ماءٍ وهو يوهمهُ انهُ يسقيهِ عَرَقاً فيجد لذع طعم العرق ويأخذهُ السكر واذا قيل لهُ انهُ يشرب مقيئاً تقيأ للحال وهلمَّ جرًّا . وربما فعل عكس ذلك فيسقيهِ دواءً فعّالاً ويوهمهُ انهُ ماء فلا يؤثر فيهِ شيئاً او انهُ دواءٌ آخر غير الذي سقاهُ فيفعل فعل ذلك الدواء الآخر . واشهر الذين عُرفوا بمثل ذلك في هذه الايام رجلٌ من اهل باريز يقال لهُ المسيو درُوشا فقد ذُكر عنهُ انهُ يحيل ارادة النائم الى ارادتهِ ويخيّل لهُ كل خيال يريدهُ ويجعلهُ يبصر الاشياء البعيدة ويستنطقهُ عن الحوادث الغابرة مما لم يكن النائم عارفاً بهِ قطّ . وهناك امرٌ اغرب من كل ما ذُكر وهو انهُ يتصرف في حسّ النائم فيجعلهُ تارةً لا يشعر بما يعرض عليهِ من لمسٍ او قرص او احراق وتارةً اذا أُشير اليهِ باشارة قرص عن مسافة بعيدة عن جسمهِ بضعة سنتيمترات يشعر كانهُ قد قُرِص حقيقةً ويتألم في اقرب موضع من جسمهِ الى تلك الاشارة . وربما وضع على جسم النائم شيئاً من نحو مخدة او كتاب ثم ينخس ذلك الشيء بطرف دبوس مثلاً فيشعر في ذلك الموضع من جلدهِ بالنخسة عينها كانها وقعت عليهِ

اما حقيقة هذه الامور فمما يصعب الحكم فيهِ وهي ولا ريب مما

يبعد تصديقهُ لاول وهلة بل الذي يغلب على الظن ان الامر لا يخلو من صنعةٍ وشيءٍ من الايهام والتواطؤ ولكن اصحاب هـذه الصناعة مع عدم انكارهم حدوث مثل ذلك يقولون انهُ يمكن ان يُحتاط لتمييز الايهام من الحقيقة. بيد انهُ على كل حال لا يمكن قبول كل ما يشاهَد والتسليم بصحتهِ الا بعد التحرز الشديد ولا يستحيل ان يكون هناك شيءٌ من الحقيقة سيكشفهُ المستقبل اذ الطبيعة تشتمل على امورٍ جمّة لا تزال مجهولةً عندنا وكثيرٌ مما يسبق الى الذهن انهُ من المحاليّات قد تحقق فعلاً ولذلك لا ينبغي التسرع الى الانكار كما انهُ لا ينبغي الاستسلام الى التصديق والله اعلم

ادب الدارس

﴿ بعد المدارس ﴾

(تتمة)

وليس من غرضي فيما ذكر ان اصرفكم عن الاشتغال بآداب العربية والتوفر على اتقان علومها وإِحكام الجري على اسلوبها ولا سيما مع بعثة اللغة في هذا العصر وإِقبال المتأدبين واهل العلم من كل اوب على اقتباس فنونها واحراز اعلاقها علماً بما لها من المزية التي انفردت بها عن سائر اللغات فضلاً عن ان اتقان اللغة عند كل امة مقدَّم على جميع العلوم اذ هي القالب الذي تُسبَك فيهِ المعاني والمرآة التي تمثّل فيها صور الخواطر فما كان ذلك القالب اجمل تكويناً وتلك المرآة اصفى مآءً جاءَت المعاني ابدع والخواطر اظهر وأنصع . ولذلك كان اشتغالكم بها واحكامكم لعبارتها واسلوبها

والتعمّق في معرفة مفرداتها واحكام مجازها واشتقاقها من اعون الذرائع لكم على بلوغ الغرض من التأليف فيها ونقل العلوم المذكورة اليها لانكم بذلك تستطيعون ان تصوّروا المعاني بصُوَرها وتلبسوها اثوابها الخليقة بها وتستنبطوا لها الالفاظ التي لم يسبق لها وضع في هذه اللغة مما حدث بعد عهد اربابها . وانما الذي ينبغي ان تجتنبوهُ فيها الايغال في تقصّي مذاهب النحاة واستقرآء ما قيل في كل مسئلة مما لا فائدة فيهِ للعقل ولا زيادة تبصرة في الاستعمال اذ وجه الاستعمال على جميع الاقوال واحد والمُجمَع عليهِ من الوجوه الفصيحة منصوص عليهِ في اماكنهِ مما عرفتموهُ . ويتصل بذلك التنقيب عن الانواع والجناسات البديعية وتوخيها في صوغ الكلام من النظم والنثر فان ذلك هادمٌ لاركان البلاغة مشوّهٌ لمحاسن وجوه الفصاحة لما يقتضيهِ على الغالب من التكلف والخروج بالكلام عن وجههِ الا ما جاء منهُ اتفاقاً او على غير كلفة فانهُ يُعَدّ من المحسّنات وحسنهُ يكون بقدر قربهِ من النظم الطبيعي . الا ان هذا قلما يُعتدّ بهِ في نظر البليغ اذ العبرة بأُصول المعاني التي يُبنَى عليها الكلام لا بالتحسينات اللاحقة الواردة مورد الزينة على ما نبهت على ذلك كلهِ علماء البديع . ولهذا كانت المحسّنات المعنوية اعلى من المحسّنات اللفظية لرجوعها الى المعنى الذي هو المقصود من الكلام فضلاً عن ان اللفظية كثيراً ما يكون المعنى فيها مستعَبداً للفظ لاقامة الجناس او الفاصلة وانما يطلبها على الغالب من لا غناء عندهُ في المعاني فيموّه على الاسماع بهذه السفاسف التي لا تثبت على النقد ولا محصول منها في الفهم

ولقد رايت من الناس من التزم السجع والجناس حتى في التقريرات العلمية وكتب التاريخ ونحوها مما قُيِّد الكاتب فيهِ باغراض وحقائق لا متَّسَع لهُ عنها ولا محل فيها للزخرفة والخيال وبهذا تعلمون قدر ما أُولع الناس بهذا المذهب السمج . ولا حاجة بعد هذا الى ذكر ما بلغوا اليهِ من ذلك في الخطب والشعر مما استغرقوا فيهِ المذاهب ولم يتركوا غايةً الا اتوها حتى صار السامع اذا تُلي عليهِ كلام كثير من اولئك ظنهُ ضرباً من تصريف الكلم او باباً من ابواب الاشتقاق واصبحت المعاني الشعرية كانما مُسخت فاستحالت جناساتٍ وانواعاً وصار من تناول منها شيئاً تاه على امرئ القيس وابن ابي سُلمَى ولم يعدَّ المتنبي ومن في طبقتهِ شيئاً . ومهما يكن من مذاهب الشعرآء فاني لا ارى لاحدٍ منكم ان يتعلق قول الشعر ويضيع اوقاتهُ في معاناتهِ لان احدكم احوج الى علم يستزيدهُ وليس في احدكم فضلةٌ لان يخرِج من قريحتهِ ما يأخذهُ الناس عنهُ . واذا لم يكنَ في الشعر ما يستفاد من حكمةٍ او ادب او ما يعجب من ابتكار معنى او ابتداه نكتة وكان قُصارَى ما يدور عليهِ الوزن والتقفية فما اقلها جدوى تُسهَر عليها النواظر وتُكدّ فيها الخواطر ثم لا يكون ورآءها الا اصواتٌ يمكن ان يؤدَّى مثلها بنقر الدُّفّ ووقع مطارق القصَّارين . واذا كان فيكم الشاعر المطبوع يجيش في خاطرهِ الشعر فلا يستطيع ضبطهُ فليصرفهُ في الاغراض الادبية او التاريخية او وصف شيء من الاحوال والمشاهد الطبيعية او ضبط شيء من قواعد العلوم دون التشبيب والمدح وما شاكل ذلك مما يذهب بالزمان سدًى ولا يُتناول منهُ فائدة

واعلموا ان المرء مفتونٌ ببنات افكارهِ فسوآءٌ كتبتم شعراً او نثراً فلا تعجلوا الى نشر ما كتبتم ولا تكونوا من انفسكم على ثقة وان استحسنتم ما صدر من قرائحكم لاول وهلة ولكن ينبغي ان تكونوا لخواطركم متَّهمين وتراجعوا ما كتبتم مراجعة الناقد المتعنت وان اصبتم في كلامكم ما ينبغي اطّراحهُ فلا تبتئسوا من ضياع جهدكم فيهِ ولا تحرصوا على كثرة ابيات القصيدة ولا على توفُّر الجمل وتمدُّد السطور فانهُ لم تُعَب قصيدةٌ قطّ بقلة ابياتها ولا مقالةٌ بقصر لفظها ولكنها تعاب بغلطةٍ واحدة او لفظٍ ركيك او معنًى في غير محلهِ فتسقط لذلك برمتها . ولا بأس عليكم ان تضعوا كلامكم بين يدي من تثقون بعلمهِ لينبهكم الى ما فيهِ من العيوب فان نقد واحد من الاصدقآء ومناصحتهُ في الستر خيرٌ من تنديد جماعاتٍ من الاعدآء والحساد على رؤُوس الاشهاد . وكلكم يذكر شأن الشاعر الكبير زهير بن ابي سلمى وما كان يفعلهُ من عرض قصائدهِ على اصحابهِ الشعرآء والتوفر على تنقيحها حتى يأتي على القصيدة منها حول كامل ولذلك لُقّبت قصائدهُ بالحوليات ولم يكن يستحيي من ذلك ولا أُتي من جهتهِ قط فضلاً عن انهُ كان معدوداً في جملة فضائلهِ يؤثر عنهُ الى هذا اليوم

وفي الختام اوصيكم بالمحافظة على ولآء هذه المدرسة التي هي موضع نشأتكم ومجمع أَشُدّكم وفيها غُذِيَت احلامكم ومنها نبضت لكم مناهل الدراية والرُشد ومن اشعتها اقتبست بصائركم ما تسيرون في ضوئهِ سحابة العمر وعلى الجملة فهي التي اتمَّت لكم ما رزقكم الله من نعمة العقل واكملت فيكم فضل النطق ووصلت ايديكم باسباب النجاح ونهجت في وجوهكم سبيل

الفلاح وارسلتكم رجالاً يتدرجون في مراقي الفضل والعرفان ويحلون محلهم من اندية العمران واعلموا انها لن تزال عصمةً لكم تأوون منها الى ركن عزيز كما آوتكم من قبل في حرز حريز فكونوا عند ما يفرضهُ عليكم الوفآء من تذكر نعمآئها وما تتقاضاكم الذمة من الاقامة على صدق ولآئها ولا تغفلوا عن عرفان ما لغبطة مؤسسها العلاّمة المفضال من الايادي البيضآء واجمال الثنآء على تشييدهِ لكم هذا المقام الذي فيهِ تعلمتم صوغ الكلام وتحبير الثنآء وتعهُّدهِ لكم بالعناية وجميل الرعاية في حالتي المشهد والمغيب وإفآءة ظل فضلهِ عليكم واحسانهِ اليكم ليبلّغكم من الفوز اوفى نصيب لا زال كوكباً للشرق تُرسَل اشعة هديهِ في الاقطار وتسير بفضل نورهِ متحيرات الابصار

وهذا اليوم موعد تفرُّقكم الذي بهِ ينحلّ عقد هذا النظام وينوب اجتماع كلٍّ منكم بذويهِ عن اجتماعكم في هذا المقام فكونوا على القرب والبعد اخوان صدق تجمعهم نسبة الادب ووحدة الطلب وتضمهم رابطة الوطنية وجامعة العثمانية حتى تكونوا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضهُ بعضاً في احيآء آثار العلم والتفنن وتوثيق اسباب الحضارة والتمدن في ظل دولتنا العلية الباذخة الاركان القائمة تحت لوآء مولانا السلطان عبد الحميد خان ايّد الله دولتهُ وأيَّد بهِ دعائم العدل والامان وجعل ايامهُ تاجاً على مفرق الدهر كما جعل ذاتهُ تاجاً على مفرق الاكوان . اللهمَّ آمين

تصحيح لسان العرب

بقلم حضرة السريّ الفاضل عزتلو احمد بك تيمور

(تابع لما قبل)

وفي مادة (ج ز ع ـ ص ٣٩٨ س ٣) رُوي قول لَبِيد

« حُفِرَتْ وزايلها السرابُ كأنها   اجزاع بِيْشةَ أَثْلُها ورُضامُها »

ورُوي حفرت بالراء المهملة والصواب بالزاي المعجمة اي سِيقَتْ وحُثَّتْ . وضُبط رُضام بضم اوله والصواب رِضَام بالكسر جمع رَضْمَةٍ لان المطرد في جمع فَعْلة اذا لم تكن عينها ياءً فِعَال بالكسر فضلاً عن ان فُعَال بضم فتح مع التخفيف ليس من ابنية جموع التكسير السبعة والعشرين وانما سُمع في تَوْأَم تُؤَام وفي رُبَّى رُباب ولهما نظائر وهو من الجموع العزيزة . وقد ضُبط رضام بالكسر في مادة (ر ض م) الاّ ان حفزت ضُبط هناك بالبناء للمعلوم والصواب بناؤهُ للمجهول لما قدمنا

وفي مادة (ل ف فـ ص ٢٣١ س ٢٣) رُوي قول أَوْس بن غلفاء

« فانك في هجاء بني تميمٍ   كمُزْدَادِ الغرام الى الغرامِ »

« كم تركوكَ أَسْلحَ من حُبَارَى   رأت صقراً وأَشرَدَ من نعامِ »

وكتب مصححهُ « قولهُ كم تركوكَ الخ هو هكذا في الاصل وانظر هل هو مخروم او فيهِ تحريف وحرر » . قلت الذي في خزانة الادب للبغـدادي وهُمْ تركوكَ وقبلهُ

هُمُ ضربوكَ أُمَّ الرأس حتى   بدت أُمُّ الشؤون من العظامِ

وبقي هنا قول المصنف ان أوس بن غَلْفَاء ردَّ بهذا الشعر على ابن الصَّعِق في قوله

اذا ما مات مَيْتٌ من تَمِيمٍ وسرَّكَ ان يعيش فجئ بزادِ

والذي في خزانة الادب نقلاً عن ايام العرب لابي عُبيدة انهُ ردَّ بهِ على ابن الصَّعِق في قولهِ

ألَا أَبْلِغْ لديك بني تَمِيمٍ بآيةِ ذكرهم حُبَّ الطَّعامِ
أَجَارَتْهَا أُسيدٌ ثم غارت بذات الضَّرْعِ منها والسَّنامِ

في خبر لا محل لذكرهِ . وهو عندي اشبه لتوافُق القافيتين على أن ذلك ليس مما نحن بصددهِ وانما ذكرتهُ اتماماً للفائدة

وفي مادة (ح و ل) تكرر لفظ اللبد مضبوطاً بالضم والصواب كسرهُ

وفي مادة (خ ي ل ـ ص ٢٤٧ س ٨) رُوِي قول الشاعر

« زَمانَ أُفدَّى من مرَاحٍ إِلى الصِبَا بعمّيَ من فرط الصبابة والخالِ »

وضُبط افدَّى بالبناء للمجهول ولا يخفى على المتأمل ما في معنى البيت من القلق والصواب « زَمَانَ أُفَدِّي مَنْ يَرَاحُ » كما رُوِي في سفر السعادة للسخاوي . قلت وهو من قولهم رَاحَ لذلك الامر يَرَاحُ اذا فرح بهِ واخذتهُ لهُ أَرْيحيَّة على حد قول الشاعر

إِنَّ البخيل اذا سأَلْتَ بَهَرْتَهُ وترى الكريم يرَاحُ كالمختالِ

والذي في الف باء للبلويّ « مَنْ يرُوح » وهو ليس بشيء

وفي هذه الصفحة (س ٢٠)

« وثالثنا في الحلف كلّ مُهَنَّد لِمَا يُرْمَ من صُمّ العظام بهِ خالي »

ولا وجه لجزم يرمى هنا والصواب لما رِيمَ وهي رواية السخاوي في سفر السعادة والبلويّ في الف باء وهو من رام يَرُوم بُني لما لم يُسَمَّ فاعلهُ

وفي مادة (ك ل ل – ص ١١٦ س ١) رُوي قولهُ

« مِنْ كلّ محفوفٍ بِظِلّ عِصيّهِ رَوَحٌ عليـهِ كلّةٌ وقِرامُها »

قلت البيت لِلَبيد وقد اصبح بهذه الرواية من المعمَّيات وصوابهُ

« مِنْ كُلِّ محفوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عليهِ كِلَّةٌ وقِرامُها »

والزَّوْجُ النَّمط

وفي مادة (ج م م – ص ٣٧٦ س ١٥) رُوي قولهُ « الى مُطمئنّ البِرّ لا يَتَجمْجَمِ » وكتب المصحح « قولهُ الى مطمئن البر الخ صدرهُ كما في معلقة زهير « ومَنْ يُوفِ لم يُذْمَمْ ومن يهدَ قلبـهُ » والرواية الصحيحة فيما نعلم « لا يُذْمَمْ »

وفي مادة (ح ل م – ص ٣٧ س ١) رُوي قول الوليد بن عقْبة

« لك الويلات أَقْحِمْها عليهم نخير الطالبي التِّرهِ الغَشُومُ »

ولا وجه لحذف النون من الطالبـين على هذه الرواية كما لا معنى للتِّره والصواب « الطالبي التِّرَةِ » اي الثأر

وفي مادة (ا ر ن – ص ١٥٣ س ٨) رُوي قول طَرَفة

« أُمُونٍ كأَلواح الإِرَانِ نَسَأْتُها على لاحبٍ كأنهُ ظهر بُرْجُدِ »

وضبط امُونٍ بضمّ اولهِ والصواب فتحهُ وهو فَعُول بمعنى مفعولة يقال ناقة أَمون اذا كانت مأمونة العِثار والإِعياء كما يقال رَكُوب وحَلُوب

وفي مادة (س و س ن – ص ٩٤ س ٩) « السَّوْسَنُ نُبت » بضم

النون من نبت والصواب بفتح فسكون كما لا يخفى

وفي مادة (م ط ر ن - ص ٢٩٦ س ١٣) رُوي للأخطل

« ولها بالماطِرُون اذا أَكَلَ النَّمْلُ الذي جَمَعَا »

والمشهور ان البيت ليزيد بن معاوية يستشهد بهِ النحاة وهو من قصيدة يذكرها شرّاح الشواهد ونسبتهُ للاخطل سهو من المصنف وجلّ من لا يسهو

وفي مادة (ل ذ ي - ص ١١٢ س ٧) رُوي قول الاشهب بن رُمَيْلَة

« وانّ الذي حانت بِفَلْجٍ دماؤهم هُمُ القوم كُلَّ القوم يا أُمَّ خالدِ »

ولا يظهر لي وجه النصب في كلّ والصواب رفعهُ على انهُ توكيد لمرفوع

وفي مادة (ل ق ي - ص ١٢١ س ١٢) رُوي قول الشاعر

« ألا حَبَّذَاء من حبِّ عَفْرآءَ مُلْتقى »

والصواب حذف الهمزة التي بعد الف حبذا وهو ظاهر

وفي مادة (ن ج و - ص ١٧٨ س ٢٥) رُوي قول عبيد

« فمنْ بِنجْوتِهِ كمَنْ بِعَقْوتِهِ »

وروي يعقوتهِ بالياء المثناة اوّلهُ والصواب بالموحدة وهو ظاهر ايضاً والله اعلم

﴿ الاذن وحسّ السمع ﴾

قرأنا في احدى المجلات العلمية الفصل الآتي فاحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة قالت

من وظيفة حاسّة السمع ان ندرك بها الاهتزازات الصوتية التي

يحملها الهوآء ويؤديها الى الاذن اي الى المحارة ومن هناك تنتقل في عدة مسالك الى الاذن الباطنة وهي محل ادراك المسموعات

اما منفعة المحارة (صيوان الاذن) فالمقصود منها ان تكون عضواً يجمع الاصوات وما فيها من الأثنآء والتجعدات منفعتهُ ان يعكس الامواج الصوتية الى الصماخ الذي هو المجرى السمعيّ الظاهر مهما اختلفت جهة ورودها بالقياس الى الاجسام الصائتة . وفائدة هذه التجعدات يمكن ان تُعلَم بالامتحان فانهُ اذا مُلئت تجاويف المحارة بالشمع مثلاً حتى تصير ذات سطحٍ واحدٍ لم تستطع الاذن ان تستجلي حقيقة الصوت ولا سيما اذا ورد من الجهة الموافقة لامتداد سطح المحارة

وبالمحارة ايضاً نعلم جهة الصوت ودليلهُ انك اذا اجلست شخصاً على كرسيّ وعصبت عينيهِ بمنديلٍ كثيف ثم اخذت بيدك شيئاً يمكن ان يُحدِث صوتاً قصيراً كأن تقرع قطعةً من السكة بمثلها او تصكّ مفتاحاً بآخر فاذا احدثت هذا الصوت الى يمين الرأس او شمالهِ فان الشخص يدرك للحال الجهة الوارد منها الصوت ولكن اذا احدثتهُ في الجهة المقابلة لوسط الوجه فانهُ لا يعلم من اي جهةٍ جآءهُ الصوت فاذا سُئل خبط خبطاً مضحكاً واذا احدثت الصوت تحت ذقنهِ فانهُ على الغالب يظنّهُ وارداً من خلف رأسهِ وبالعكس اذا احدثت الصوت خلف رأسهِ فانهُ يظنهُ وارداً من الامام

ثم ان الاهتزازات الصادرة عن الاجسام الصلبة يمكن ان تُسمَع بوضع هذه الاجسام على جوانب الرأس فاذا سددت اذنيك بيديك

وامرت من يضع ساعةً على جبهتك فانك تسمع صوت حركتها واضحاً وكذا اذا فتحت فاك ووضعت الساعة بين ثناياك فانك تسمع الصوت كذلك . واذا اخذت باسنانك مسطرةً عريضة ووضعت الساعة عليها كان الامر نفسهُ وذلك ان الاهتزازات الصوتية الصادرة من باطن الساعة تنتقل الى ظرفها ومنهُ الى المسطرة ثم الى الاسنان ومن الاسنان الى عظم الجمجمة ثم الى سائل الاذن فاطراف العصب السمعي ومن هناك تنتهي الى الدماغ

ولما كان من خاصيّة الاجزآء الصلبة من الرأس ان تنقل الاهتزازات الصوتيّة توًّا الى الاذن الباطنة امكن ان تُستخدَم هذه الخاصية في اختبار حدّة السمع . وذلك بان يوضع مقياس القرار عند اهتزازهِ على وسط الجبهة فان الشخص يسمعهُ اولاً حق سمعهِ ثم انهُ بضعف الصوت يضعف سماعهُ لهُ شيئاً بعد شيء حتى لا يعود يشعر بصوتٍ البتة فيعيّن المختبر بساعةٍ ذات ثوانٍ المدة التي لبث فيها يسمع الصوت . واذا كانت احدى الاذنين ضعيفة الحس فان كان هناك ندْبة في الجهاز الموصل الخارجي قد حدث عنها تضخمٌ في الغشآء الطبلي سُمِع الصوت اشدّ من جهة الاذن المصابة وبعكس ذلك اذا كان ثمَّ ندبة في الباطن فان الصوت يسمع أضعف من جهة الاذن نفسها

وهناك ضربٌ آخر من الاختبار يوضع مقياس القرار في حال الاهتزاز ورآء الاذن معتمداً على العظم ومتى انقطع الشعور بالصوت عن طريق عظم الجمجمة يُنقَل المقياس الى امام الصماخ فاذا عاد الشخص يسمعهُ

كانت اذنهُ سليمة واذا سُمع من جهة الصماخ مدةً اقصر مما يُسمع من جهة العظم دلّ ذلك على اختلالٍ في الجهاز الموصل واذا كان الامر بالعكس دلّ على اختلالٍ في الاذن الباطنة

صريع الغرام

﴿ من نظم حضرة الاستاذ الفاضل اسعد افندي الحاماتي ﴾

(في طرابلس الشام)

هي حادثة واقعية جرت لاحد شبان فلسطين وقد تصبى فتاة غربية وتصبته الفتاة · فتبعها الى ديارها يقوده الحب الاعمى ويحدو به الشوق المبرّح وعاشا هناك حينا من الدهر جنيا فيه ثمار المحبة اللذيذة · وما زالا كذلك حتى دهمت الغريب بلية في جسمه هي السل الرئوي فلما رأته الفتاة على تلك الحالة قضت بالابتعاد عنه خوفاً من العدوى وما برح الدآء يغالب المسكين حتى غلبه وادخله في لهوات الموت فآثرت نظم ذلك شعراً لما فيه من العبرة والذكرى

دعتهُ فلبى سميعاً مجيبا	وخلَّف للاهل دمعاً صبيبا
تملكهُ الحبُّ فانقاد طوعاً	وقد ابصر الفوز منهُ قريبا
وأركبهُ غاربَ الإغترابِ	هوًى قد اهان لديهِ الخطوبا
صفا للحبيبَين وقتٌ قصيرٌ	اصاب الفتى فيهِ عيشاً خصيبا
تملَّى هواهُ كما يشتهي	وقد بات يمرح لهواً وطيبا
سقتهُ ابنة الغرب كاساً دهاقاً	جلَت كل همٍّ فامسى طَرُوبا
فطوراً تغازلهُ بالمنى	وطوراً تريهِ الدلالَ ضُرُوبا
فذاق من الحبّ خلاًّ وخمراً	يجُرَّعُ صاباً ويحسو ضريبا
وما زال في عيشهِ لاهياً	ولم يخشَ للدهرِ امراً مريبا
ولم يدرِ ان الليالَي ما إن	يزلنَ حبالى يلدنَ العجيبا
الى ان دهتهُ صروف الزمانِ	بداءٍ عضالٍ فاعيا الطبيبا

ذوى غصنُ ذاكَ القوام الرشيقِ وقد كان من قبلُ غضاً رطيبيا
ولاحت على خدّهِ صفرةٌ تؤذِن في عمرهِ ان يغيبا
فلا امٌ تحنو ولا إلف يرثي سوى الدمع يجري فيدمي القلوبا
ينادي الحبيبةَ في يأسهِ وهيهات أنَّى لهُ ان تجيبا
نأَت عنهُ لما راتهُ «صريعاً» يغالبهُ الموت نضواً سليبا
وأَولتهُ هجراً ويا طالما حبتهُ انعطافاً وصدراً رحيبا
كذلك شأنُ الغواني اذا ما بلغنَ المرامَ هجرنَ الحبيبا

المدرسة الكلية السورية

لا حاجة الى وصف هذه المدرسة مع امتداد شهرتها وانتشار تلامذتها في كل صقع من البلاد المشرقية من الشام ومصر والعراق والاناطول واليونان ومع كثرة من خرج منها من الاطبآء والصيادلة والعلمآء والكتّاب والخطبآء والشعرآء والمدرّسين وغيرهم وقد بلغ عدد المتخرجين فيها من حين انشآئها الى اليوم على ما يؤخذ من كتابها الذي نشرتهُ هذه السنة ما يزيد على ثمانية آلاف من نخبة شبان الشرق واذكيآئهم

وقد كان تأسيس هذه المدرسة سنة ١٨٦٦ وكان عدد تلامذتها في السنة الاولى لا يزيد على ١٦ تلميذاً كلهم في الدائرة العلمية فبلغ في السنة الاخيرة وهي السنة الحالية ٧٢٤ تلميذاً موزعين على دوائرها الخمس وهي الاستعدادية والعلمية والطبية والصيدلية والتجارية

اما الدروس التي تُلقى في هذه الدوائر فهي في الاستعدادية الحساب

والجغرافية ومبادئ الفلسفة الادبية والتاريخ ومن اللغات الانكليزية وهي حتمية والعربيـة وهي كذلك على المتكلمين بها . ثم الفرنسوية والتركية والالمانية ولا بد للطالب من درس احداها اذا كانت لغتهُ العربية او اثنتين اذا كانت لغتهُ غيرها . ومدة الدرس في هذه الدائرة خمس سنوات

وفي الدائرة العلمية الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق والتاريخ والاقتصاد السـياسي والفسيولوجية والفلسفة الطبيعية والكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجية والهيئة والرياضيات ومن اللغات العربية والانكليزية والفرنسوية والتركية . ومدة الدرس فيها اربع سنوات

ويتبع هذه الدائرة عدة جمعيات علمية تؤلَّف من تلامذة الصفوف العليا تُلقَى فيها خُطَب ومناظرات باللغة العربيـة او غيرها من اللغات المذكورة والغرض من هذه الجمعيات تقوية الطلبة في الانشاء وتمرينهم على الخطابة

وفي الدائرة الطبية علم الحيوان والكيمياء والهستولوجية والپاثولوجية العمومية والتشريح والفسيولوجية وحفظ الصحة الى آخر ما يتعلق بالعلوم الطبية . ومدة الدرس فيها اربع سنوات

ويتبع هذه الدائرة المستشفى البروسياني المعروف بمستشفى مار يوحنا وهو تحت ولاية اطباء المدرسـة يتردد عليهِ التلامذة لمشاهدة الاعمال الجراحية والمعاونة فيها . ويتصل بهِ محل مخصوص بمشاهدة المرضى اليومية (كلينيك) يشهدهُ التلامذة ايضاً ويساعدون في فحص المرضى وَيجرون بعض الاعمال الجراحية الصغرى

وفي الدائرة الصيدلية تدرَّس اصول التجارة والطبيعيات الصيدلية

والكيمياء والنبات والحيوان والمواد الطبية والصيدلة النظرية والعملية ومدة الدرس فيها ثلاث سنوات

وفي الدائرة التجارية مسك الدفاتر والحساب التجاري والجغرافية التجارية والاقتصاد السياسي والقانون التجاري والكيمياء التجارية والفلسفة الطبيعية ومن اللغات الانكليزية والعربية والالمانيـة والفرنسوية والتركية ومدة الدرس فيها ثلاث سنوات

والمدرسة قائمة في افضل بقعةٍ من مدينة بيروت مشرفة على البحر كثيرة الاشجار نزيهة الموقع وهي تتألف من بضعة عشر بناءً غالبها من الابنية الفسيحة الشائقة في جملتها مرصد فلكي وبناءٌ خاصٌ باستنبات البكتيريا والمكروب وآخر للعلوم الطبيعية وفيهِ غرفٌ متسعة للكيمياء والفلسفة الطبيعية والنبات والحيوان وطبقات الارض وغير ذلك

وفيها فضلاً عن ذلك مكتبة حافلة تشتمل على ما يقرب من اثني عشر الف مجلد في علوم ولغات مختلفة وباضافة مكتبة المرسلين الاميركان اليها وهي مباحة للتلامذة والمعلمين يبلغ مجموع الكتب اربعة عشر الف مجلد

أما المرتب السنوي فهو على دروس الاستعدادية والعلمية خمس ليرات انكليزية وعلى دروس التجارية عشر ليرات ومثلها على دروس الطبية والصيدلية الا اذا كان الطالب في يدهِ شهادة بكلوريوس علوم فخمس ليرات كما في الدائرتين الاولين . وذلك كلهُ خلا الطعام ومرتبهُ ١٢ ليرة انكليزية وخلا النفقات النثرية والخصوصية وهي مبينة في كتاب المدرسة المذكور وفيهِ زيادة تفصيل في جميع المواد التي تقدم ذكرها

فنحن بلسان الوطن الشرقي نثني اجمل الثنآء على القائمين بهذا المعهد الخطير ونرجو لهُ مزيد الشهرة والاتساع كما نرجو بهِ عموم النفع في هذه الاقطار بهمة وغيرة رئيسهِ الفاضل واساتذتهِ النبلآء جزاهم الله خير ما جزى بهِ الساعين في خدمة العلم والانسانية والله لا يضيع اجر العاملين

آثار ادبيّة

الجوهر الفرد — اطرفنا حضرة السريّ الوجيه الشاعر المشهور سليم بك عنحوري بنسخةٍ من ديوانٍ لهُ سماهُ بالجوهر الفرد او الشعر العصري عدل فيهِ عما الفتهُ من الشعرآء من التخيل والغلوّ الى التزام الحقائق التي يستفيد منها المطالع حكمةً او ادباً وقد تصفحنا بعضهُ فالفينا فيهِ عدة قصائد ومقطعات رائقة نذكر منها قولهُ

اصنع جميلاً ما استطعتَ ولا تكن ... ممن يميز مؤمناً عن جاحدِ
واحسب جميع الناس شخصاً واحداً ... ثم انعطف حباً لذاك الواحدِ

وقولهُ

ان شئت تزجر خلاً عن اساءَتهِ ... اليك فاصبر لهُ ما دام محتدما
حتى اذا سكنت نيران حدّتهِ ... عاتبهُ باللطف يقرع سنهُ ندما

وقولهُ

لا تزعمن ان المراتب خصصت ... بذوي القرائح والفؤاد النيّرِ
لو كان قدر العلم يعطي منصباً ... لغدا ارسطو سيد الاسكندر

وفي الديوان كثيرٌ من امثال هذه الحسنات فنثني على قريحة الناظم ثناءً طيباً ونرجو لديوانهِ ما يستحقهُ من الرواج والاشتهار

فكاهات

القفاز(١)

ذهبت يوماً لزيارة صديق لي يدعي أرمان بعد انقطاعٍ طويلٍ سببهُ انهما كي بالاعمال التي كانت تستغرق جميع ساعات ايامي • ولما دخلت استقبلني بالبشاشة والاكرام ورأيتهُ جالساً الى مكتبتهِ وقد فتح فيها درجاً وكان يطالع الاوراق التي فيهِ فظهر لي لاول وهلة ان محتويات الاوراق لم تكن من التذكارات التي تسرّ بدليل ما ارتسم على وجههِ من علامات الكمد والانقباض • ولِما كان بيننا من وحدة الحال اخذت كرسياً وجلست بجانبهِ وعاد الى اوراقهِ ففتح غلافاً واذا فيهِ قفاز من الجلد الابيض الناعم وقد اغبرّ لونهُ مما دل على انهُ كان ملبوساً من قبل • ولما وقعت عين صديقي عليهِ اخذهُ فتفرس فيهِ حيناً ثم ادار نظرهُ الى الفضاء ورايت دمعةً كحبة بلور قد ترقرقت من مقلتهِ واندفع من صدرهِ تنهدٌ عميق فطرح القفاز على المكتب ووضع فوقهُ ورقة كانهُ يود ان يحجبهُ عن نظرهِ • ثم التفت اليّ وقال ما كنت اود ان اقابلك ايها الصديق وانا في مثل هذه الحالة من الغم وضيق النفس ولست ادري لعل التقادير قد ساقتك اليّ لتشاركني في حمل سرٍ هائل يمزق صدري ولتخفف عني بعض ما احملهُ بكلمات التعزية والاخاء • فقلت حبذا ذاك ايها العزيز فلو عرفت ما عندك ربما كنت اتمكن من فعل ذلك ولكنني اجهل تماماً سبب اغتمامك واخشى ان يكون في مجيئي اليك الآن ما يقطع حبل تذكاراتك او يعوقك عن تتبع افكارٍ ربما تود الانفراد لاتباعها • فقال لا لا • لا حياة للانسان ان لم يكن لهُ صديق صدوق يشاطرهُ احزانهُ كما يقاسمهُ افراحهُ ولا سعادة لهُ ان لم يصادف في صدر صديقهِ حاسةً تغبطهُ في سرورهِ

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وتعزّيهِ في بلواه• وارى ان لا بد لي من اطلاعك على ما يكنهُ فؤادي فقد ضاق عن احتمالهِ وحدهُ فشاركني ايها العزيز ومتى ادركت كنه الامر فابذل الجهد في تأسيتي اذا وجدت لذلك سبيلاً • ولما رأى فيَّ علامة الانتظار لسماع حديثهِ واستعدادي للقيام بواجب الصداقة بدأ في حديثهِ فقال

جئت هذه البلدة من بضع سنوات اطلب فيها الرزق واتعاطى لمعيشتي صناعة التصوير التي تعلمتها واتقنتها في اميركا • وعلمني الاختبار ان العامل مضطرٌ الى تزيين محلهِ وترتيبهِ بالمفروشات والاثاث لينال اعتبار القوم وثقتهم فانفقت كل ما كان عندي من النقود في استئجار هذا البيت وتزيين داخلهِ كما ترى• ولما فرغت من ذلك شمرت عن ساعد الهمة والنشاط ودأبت في العمل ولكن وجدت ان صناعتي غير مرغوب فيها كثيراً هنا فلم اكن احصل من ورآئها الا ما يكفي بعد شق النفس للقيام بنفقاتي • ولم يكن من طبعي حب التغيير والتنقل فصبرت على مضض البلوى وانا اعلل النفس بتحسن الحالة في المستقبل القريب • ولم اكن اخرج من بيتي الاَّ نادراً لسببين اولهما الانتباه الى عملي والثاني التخلص من زيارة المجتمعات والتعرف بالناس خوف ان يكون في ذلك وقرٌ على جيبي لا استطيع حملهُ

ودامت الحال على هذا المنوال اشهراً فضقت ذرعاً وكنت اقضي الساعات ذاهلاً غائصاً في بحار الافكار لعلَّ الله يفتح عليَّ برأيٍ تكون عاقبتهُ تحسين حالتي بوجهٍ من الوجوه • وأرِقتُ ذات ليلةٍ فجعلت اتقلب على فراشي وكلما طلبت النوم اراهُ يبتعد بعد حظي عني وتخيل لي ان سريري مستوقد تذيب حرارتهُ جسدي فنهضت الى غرفة ثانية لها جناح جلست فيهِ فهب في وجهي نسيمٌ باردٌ انعش صدري واعاد اليَّ بعض رشدي • فلبثت مدة اراقب البيوت المجاورة لي واتأمل في فخامتها ثم وقف نظري على نافذة البيت الذي بازآئي لا يفصلهُ عني الا عرض الطريق فرايت من النافذة المذكورة غرفة داخلية منارة بضوء ضعيف علمت انهُ شمعة وفي وسط الغرفة مائدة متوسطة الحجم عليها دواة وبعض اوراق وقد جلست الى جانبها فتاةٌ لا تكاد تتجاوز الربيع الثامن عشر من حياتها بيضآء

اللون هيفآء القوام مرتدية ثوباً ابيض وقد انحدر على كتفيها ذؤابتان من الشعر الاسود وكأن النور الضعيف زاد المنظر هيبةً وخشوعاً فبانت الفتاة كانها ملكٌ قد هبط من العلآء واستقرّ في ذلك المقام • فاعترتني دهشةٌ تركتني زمناً اتأمل في محاسن هذه الرؤية وانا كالمأخوذ • ولما أُشبع نظري من مشاهدتها حوّلت فكري لأرى ما ذا تفعل فوجدتها تقرأ بعض تلك الاوراق المبعثرة امامها فتهز رأسها ثم تخط على بعضها كتابةً مختصرة مما يدل على انها غارقة في حل عقدة حسابية او في كتابة خطٍ يضاهي خطّاً امامها كانت تنظر اليهِ من حين الى آخر • وكأنها لم تتوفق الى ذلك الحلّ او لم ترضها تلك المضاهاة فكانت تتأفف فتمزق الورقة قطعاً صغيرة وتنهض فتغيب عن نظري مدةً في جوانب الغرفة ثم تعود الى كتابة غيرها فتفعل بها كما فعلت بالاولى • وبعد ان مزقت عدةً من الاوراق نهضت فجمعت كل الاوراق المبعثرة امامها وغابت ايضاً فغاب نور الغرفة وساد الظلام • فانتظرت نحو ساعة فلم يعد النور فتحققت ان ذلك الملك قد دخل في سبات النوم فعدت الى سريري وبعد افتكار طويل بما رأيت نمت ايضاً

وما اصبح الصباح حتى قمت وليس امامي الا صورة الفتاة فكانها ملكت جميع عواطفي واسترقت لبي وشعرت اني وقعت في شرك الغرام • وذهبت في ذلك النهار اكثر من مئة مرة الى ناحية الجناح لعلي اتوفق الى مشاهدتها ولكن كانت نافذتها مغلقة فلم احصل على شيء من مرامي فزاد هيامي ولم اتمكن في ذلك اليوم من الانتباه الى شغلي اصلاً • وما صدقت ان خيم الظلام حتى وافيت الجناح فجلست وسواد الليل يخفيني وجعلت اراقب تلك النافذة مراقبة الصياد لكناس الغزال ولم اعلم مقدار الوقت الذي مكثتهُ لانهُ كان في انتظاري ما يشغلني عن مراقبتهِ غير انني ادركت قرب انتصاف الليل واذا بوميض نور قد لاح في الغرفة ثم زاد فرايت امامي مشهد البارحة بعينهِ وانتهى كما انتهى ذاك • ولكن ظهر لي في هذه الليلة مالم يظهر لي من قبل وهو انني اعرف الفتاة بالنظر واني قابلتها مرارا من جملتها مرةً في محلي وقد جاءت تسألني عن ثمن بعض الصور وقد ابتاعت منها شيئاً • وشحذت الذاكرة

ايضاً فخيل لي ان الفتاة كانت عند مقابلتها اياي تنظر اليَّ نظراً جاذباً تنبعث منهُ اشعة نور او نار فكانها كانت تريد ان توصل الى قلبي معنى نظراتها او تبحث عن شيء ضمن صدري . وما كنت اهتم بذلك حينئذٍ لانهما كي في شغلي وانقطاعي اليهِ عن كل امر سواهُ ولكن في تلك الدقيقة عادت اليَّ كل تلك الذكرى وشعرت بحقيقة الحب وصرت اتمنى ان اقابل فاتنتي فاعتذر اليها عن عدم اكتراثي السابق وابذل امامها قلباً قد طفح بحبها وآلى ان يقف ذاتهُ لخدمتها وعبادتها

فلما كان اليوم التالي جعلت ابحث سرًّا لاعرف شيئاً عن هذه الفتاة ومن تكون فعلمت انها تدعى مرغريت وانها تقيم في ذلك البيت مع رجلٍ شيخ يظن انهُ والدها وليس في البيت غيرهما حتى من الخدم وان الرجل مريض لايفارق المنزل البتة . اما مرغريت فانها تخرج بعض الاحيان لقضآء الحاجات الضرورية فقط وفي غير ذلك فهي لا تخرج ابداً ولا تفارق ذلك الشيخ

وقضيت نحو ثلاثة اسابيع اشتغل نهاراً بعملي واعود مسآءً الى الجناح فارصد فيهِ تلك النافذة بشوق اشد من شوق الفلكي الى رصد النجوم وانا لا ارى زيادةً ولا نقصاناً عما رايتهُ في الليلة الاولى ولكني كنت اشعر بلذة غريبة وسرورٍ عظيم من مجرد النظر الى مرغريت واتأسف كلما غاب النور لانهُ كان ينذرني بغيابها عن مقلتي الى الليلة التالية . وكنت يوماً في اثنآء عملي واذا ببابي يقرع ففتحتهُ ولا اقدر ان اصف ماحلَّ بي من الدهش لدى مشاهدة الداخل وقد كان مرغريت بعينها . وكأنها قرأت بلحظةٍ واحدة مجلدات الحب المخزونة في مكتبة صدري فاحمرّت وجنتاها وطفحت مياه الجاذبية من عينيها ولكنها تجلدت بقوةٍ غريبة لا يملكها سوى هذا الجنس الفتان فاظهرت رغبتها في ابتياع بعض الصور وانها قدمت لهذه الغاية . ولما رأتني كاني غير فاهم كلامها قالت اذا كنت لاتريد ان تبيعني مطلوبي فانا ذاهبة . فصحت بها قفي ايها الملك الطاهر فان كنتِ رأيتِ فيَّ مايدل على عدم رغبتي في بيع صوزي الحقيرة لكِ فذلك لانها ومايحويهِ محلي هذا مع حقارتهِ بل جسدي وما يحويهِ من الجوارح والعواطف والحياة ملكٌ لكِ ورهن ارادتكِ .

ودفعني الهيام الشديد فطوقت خصرها بذراعيَّ وقدتها الى مقعد اجلستها عليهِ وجثوت بجانبها • ولم تكن بضع دقائق حتى باح كلٌّ منا للآخر بما يكنهُ لهُ فؤادهُ من الحب غير اني كتمت عن مرغريت مراقبتي الليلية• وعلمت منها انها رأتني عند اول سكناي في هذا البيت فمالت اليَّ ميلاً شديداً وجعلت تستطلع احوالي فرأت مواظبتي على العمل وسعيي وراء النجح فزاد حبها لي ولم تخفَ عليها فاقتي غير ان هذا الامر لم يقف في سبيل ميلها اليَّ وانها كانت تبالغ في كتمان امرها خوفاً من ان اكون متعلقاً بمحبة سواها • فلما كشفنا عن اسرارنا القناع وطنّاً انفسنا على دوام المحبة فوعدتني انها تشاطرني الحياة مهما كانت ظروفها ووعدتها ان لا احول عن هواها ولو اعترضتني قوات الارض • وفي نهاية الحديث قالت لي انا اعلم يا ارمان ان ليس عندك مال فلا تظن ان ذلك يغير من حبي لك بل اعدك وابشرك انك ستحرز من المال في وقت قريب مايفوق تصورك ولكن قل لي هل يشق عليك ان تسافر من هذه البلدة الى بلادٍ اخرى اذا اضطررنا الى ذلك• فقلت انني غير ميال الى كثرة التنقل ايتها الحبيبة ولكنني مطيع لامركِ فاذا شئت ان اسير معكِ الى القطب الشمالي او شئتِ السفر الى وسط مجاهل افريقية فانا اتبع لكِ من ظلكِ وارى سعادتي وسروري حيث اكون معكِ وبقربكِ • فتبسمت وقالت اذاً كن على استعداد لاننا ربما اضطررنا الى السفر ولو لم يكن الى المحلين اللذين ذكرتهما • ولما سألتها عن اهل بيتها اجابتني انها مقيمة مع والدها الشيخ وانهُ مريض فلا يخرج من البيت ابداً واما والدتها فقد توفيت من عهد بعيد • فسألتها هل تستحسن ان ازورها في بيتها فاتعرف بابيها واطلبها منهُ رسمياً • فاظهرت النفور وقالت لا نتيجة من ذلك فانهُ مريض لا يعي شيئاً بل ربما اذا رآك هناك يداخلهُ ريب من امرك لانهُ لا يطيق مشاهدة احد سواي حتى اضطررنا ان نطرد جميع الخدم من بيتنا

وكانت مدة اجتماعي بمرغريت اكثر من ساعتين خلتهما دقيقتين وقد سكرت بعذوبة منطقها ورشاقة حركاتها وبريق عينيها • فلما ارادت الانصراف شعرت بالم الفراق وسالتها ان تبذل جهدها في زيارتي او مقابلتي يومياً فعضت على شفتها

وقالت لا تكن عجولاً ايها الحبيب فلا بد من الصبر الى ان يتم ما اسعى لاتمامهِ ولي امل عظيم انني لا اتركك طويلاً على جمر الانتظار

ومضت علينا عدة ايام كانت تزورني مرغريت في بعضها فتخفف من كربي وتنشطني وتشجعني . اما لياليَّ فكنت اصرفها على جناح غرفتي كالعادة اراقب ما رايتهُ كما ذكرت في اول الحديث وانا اكتم ذلك عن فاتنتي رغبةً في استطلاع عملها بنفسي وخوف ان يسوءها ذلك فتعمد الى اغلاق النافذة وتحرمني تلك المشاهدة

وبعد مرور شهر من تلك المقابلة زارتني مرغريت كعادتها ولكنني رايت في وجهها شحوباً وعلى هيئتها ملامح الاضطراب وقد ارتسم حول عينيها هالتان زرقاوان فسألتها بلهفة عن سبب ذلك فقالت انها تشعر بشدة التعب من خدمة والدها المريض وانهُ قد اصابتهُ في ذلك الصباح نوبة ازعجتها ولم تزل متأثرة منها . فجعلت اؤسيها واتمنى لو اكون بقربها لاساعدها في خدمتها هذه فشكرتني بلطف على ما ابنت لها ثم غيرت حديثها للحال فقالت لي انها جآءت لتنبهني الى وجوب السفر بعد ايام قلائل في اثنآء ذلك الاسبوع والحت عليَّ ان اهتمّ من تلك الدقيقة في ارصاد معدّاتي ورزم حوائجي والاستعداد التام . ثم خرجت مودعةً وقالت ربما ترى يا عزيزي ارمان في حالتي ما تخالهُ سرًّا ولكنك ستطلع على ذلك بعد سفرنا بيوم واحد وترى ان غرضي الوحيد تحقيق سعادتنا ما حيينا فتشجع وكن صبوراً فقد قار بنا ادراك النهاية

وفي تلك الليلة عينها ذهبت الى الجناح المعهود للمراقبة كالعادة فمضى الوقت الذي كنت اراها فيهِ ولم تحضر فقلقت وتمثلت لي خواطر غريبة استولت عليَّ فدفعتني الى الخروج من بيتي فاجتزت الشارع ودخلت الحديقة المحيطة ببيت حبيبتي فبان لي نورٌ ضعيف في غرفةٍ على ركن البيت الايسر . وكأن قوة داخلية كانت تسوقني الى شجرة تقابل تلك الغرفة فتسلقتها بمهارة وبلغت اعلاها فاستطعت ان ارى من النافذة داخل الغرفة ولكنني ما كدت اجيل نظري حتى عرتني قشعريرة فشعرت ان الدم قد جمد في عروقي وكدت اسقط الى الارض لو لم تصب يدايَ

بنو بة تشنجٍ جعلتهما تقبضان على الاغصان بشدة • واستعملت قوتي العقلية فملكت روعي ورأيت ذلك الرجل الهرم ابا حبيبتي ملقى على ارض الغرفة لا حراك بهِ فكأنهُ كان قد لفظ نفسهُ الاخير منذ دقائق قليلة فقط وكان الموت قد اعار هيئتهُ منظراً قبيحاً مخيفاً فغارت عيناهُ تحت اجفانهِ المفتوحة وظهرت في وجههِ بقع زرقآء مائلة الى السواد وانفتح فوهُ • وبينما انا اراقب هذا المنظر اذا بفاتنتي مرغريت قد دخلت كاللبوءة الفاقدة اشبالها فاسرعت الى الجثة فرفعتها بين يديها كطفلٍ صغير ثم نقلتها الى امام مكتبة فاجلستها على كرسيٍّ وجعلتها على هيئةٍ توهم الناظر ان الرجل جالس يكتب وقد ادار ظهرهُ الى الباب بحيث لو رآهُ احد من الخارج لما شك في انهُ حي يكتب • ولما اتمت كل ذلك تركت المصباح بجانب الجثة وخرجت من الغرفة وقد تركت بابها مفتوحاً • وما كادت تغيب من الباب حتى رايت فتى في زهرة الشباب قد انسلَّ من بابٍ آخر وخرج ورآءها ثم سمعت صوتاً يصم الآذان وسدل السكوت بعد ذلك حجابهُ على المنزل • اما انا فاعتراني خوفٌ شديد ان يعلم احدٌ بوجودي في مخباي وكان حبي لمرغريت يوحي اليَّ ان ادخل البيت لارى ما حل بحبيبتي واساعدها اذا كانت في حاجة الى مساعدتي ولكني رأيت من الصواب ان انتظر فنزلت من مكاني بغاية الاحتراس وعدت الى بيتي لعلي اتمكن من معرفة شيء من الجناح • وما كدت اضع يديَّ على تفاحة باب الجناح حتى شعرت بشيء قد رُمي اليهِ فلطم خشب الباب وسقط الى الجناح • ولما فتحت وجدت هذا القفاز وعلمت ان حبيبتي قد رمت بهِ اليَّ لغايةٍ لا ازال اجهلها حتى الآن ولم يكذبني ظني لاني ما تممت ان رايت نوراً اضآء تلك الغرفة و بانت في وسطها مرغريت في اجمل هيئة وقد وقفت بجانب المائدة واستندت اليها باحدى ذراعيها • وكانت ملامح الانفة والكبريآء مرسومة على وجهها فحاولت ان استلفت انتباهها اليَّ لأسألها عما اذا كان يمكنني المداخلة لمساعدتها في شيء ولكنها لم تنتبه اليَّ وقد حدقت عيناها الى جهة باب الغرفة • ثم رأيتها قد اضطربت شديداً وارتجف جسمها فمدت اليد الاخرى الى الامام اشارة التهديد

وسمعتها تقول بصوت الآمر قف مكانك واياك ان تتقدم خطوةً واحدة . ثم سمعت صوت رجل يقول انني اعيد عليكِ ما قلتهُ الآن فطاوعيني وهذه آخر فرصةٍ ممكنة لكِ اذا شئتِ . فقالت بصوت يكاد يخنقهُ اليأس والغيظ اما وقد فقدتُ الشرف والمال فلا فاذهب من وجهي ولتلعنك السماء وتقطع حبل حياتك وسعادتك كما قطعت حبل سعادتي . فقال ما لنا ولهذا الكلام والآن افلا تزالين على اصرارك . قالت اني لن احول عن عزمي فافعل ما شئت . وللحال سمعت وقع اقدام فقال الرجل مخاطباً القادمين الجدد دونكم واياها فاقبضوا عليها ولكن بلطف لان الحكومة تود اخذها سليمة لتتمكن من الحصول على اقرارها . وقبل ان اتمكن من مشاهدة القادمين رأيت مرغريت قد ضربت المصباح بكتاب كان بالقرب منها فانطفأ ثم تبع ذلك لغط وحركة مشي عقبها صوت طلقٍ ناري وصيحة شديدة . وبعد بضع دقائق أُتي بنور آخر فتفتت فؤادي لدى مشاهدة حبيبتي مرغريت مطروحة في وسط الغرفة والدم يتدفق من صدرها ورايت في يدها مسدساً ودخان البارود لا يزال منتشراً في الغرفة . فصحت بالرغم عني صيحة يأس وانزعاج لم ينتبه اليها احد لاشتغالهم بما هو اهم وكدت التي بنفسي من على الجناح لاسرع الى تلك الحبيبة المائتة ولكني توقفت خشية ان يكون في الامر جريمة اعرّض نفسي لتهمة الاشتراك فيها فتربصت في مكاني الى ان ينكشف الستار عن هذه المخبآت

ولم يحدث في تلك الليلة شيءٌ آخر سوى نقل جثتي الشيخ ومرغريت الى دار الحكومة ثم أُقفل البيت وختمت ابوابهُ بالشمع الاحمر . اما انا فكنت على احر من الجمر ولم اضع دقيقة واحدة من وقتي عن البحث والسؤال ومراقبة اعمال الحكومة حتى وضحت المسألة وكتبتها الجرائد فعلمت من الامر ان مرغريت ابنة المتوفى وانهُ بعد موت والدتها اقترن بغيرها ولهُ ولد من زوجتهِ الثانية ارسلهُ الى برلين ليتلقى العلوم في احدى كلياتها وبقي هو مع مرغريت لتعتني بهِ ويعتني بها . ثم اصابهُ مرض اضعف قواهُ والزمهُ البيت ورأى في اثنائهِ ان مرغريت تتظاهر بالاعتناء بهِ وتخفي تحت معاملتها شيئاً لم يخفَ على فطنة الرجل فجعل احياناً يتناوم

ليراقب حركاتها فرآها يوماً فتحت مكتبتهُ واخذت تتلو وصيتهُ الاخيرة فاذا بهِ قد خصص لمرغريت ما لا يزيد عن مئتي ليرة وترك الباقي وهو ينيف عن بضعة آلاف من الليرات لابنهِ المذكور • وراى الرجل ان مرغريت تتململ عند قرآءة هذه الوصية وقرأ في هيئتها ما نوت ان تفعله فتظاهر بالضعف الشديد وعدم المقدرة على الحركة • ثم افتقد يوماً الوصية فلم يجدها وتسلل ليلةً الى غرفة مرغريت فرآها كما رايتها انا جالسةً الى المائدة تكتب اوراقاً وتمزقها ولقربهِ منها تمكن ان يعرف ماذا كانت تفعل وانها كانت تجتهد في تقليد كتابتهِ لتغير الوصية فتحرم الولد من مال ابيهِ وتستأثر بالتركة وحدها • واغتنم الرجل خروج مرغريت يوماً فارسل استدعى ابنهُ من برلين واوصاهُ ان يصل اليهِ بدون ان يعلم بهِ احد • فلما جآء اطلعهُ على تلك الامور واوصاهُ بمراقبة مرغريت والمحافظة على صورة الوصية الاولى فكان الفتى يختفي في واحدة من غرف ذلك البيت الكبير ويراقب ما يجري بدون ان يشعر احد بوجودهِ • ولم يعلم احد كيف كانت وفاة والد مرغريت وهل ساعدت القضآء في تقريب اجلهِ او ان حياتهُ انتهت انتهآء طبيعياً ولكن ظهر مما فعلتهُ اذ اجلستهُ على كرسي مكتبتهِ انها تود اخفآء خبر موتهِ الى ان تكون غادرت البلدة بالوصية الجديدة وما جمعتهُ من الاوراق المالية والصكوك • وان الفتى لما تبعها حال خروجها من غرفة الميت واظهر لها نفسهُ اخذ منها الخوف كل مأخذ وكادت تقع ميتةً ولكنهُ لاطفها واخبرها انهُ مطلع على جميع ما جرى ونصح لها ان تأخذ ما يكفيها لسفرها وان تغادر البلدة في تلك الدقيقة قبل ان تقبض عليها يد العدالة فأبت وهددها فاصرت فتركها ريثما يستدعي رجال الشحنة فاغتنمت هذه الفرصة وعادت الى غرفتها فرمت اليَّ بهذا القفاز ولا شك انها كانت بذلك تناديني ولعلها كانت تود ان تخبرني بشيء فلم تتمكن من ذلك لرجوع الفتى في الحالة التي وصفتها وحدوث ما حدث

وهكذا تم الامر فاستولى الفتى على جميع مال ابيهِ بعد دفن الجثتين • ولبثتُ انا من ذلك الحين كسير القلب موجع الفؤاد على وميضٍ كدت احسبهُ نور سعادة

فوجدتهُ برقاً خلباً وسراباً غراراً • وقد حفظت بعض اوراق من خط مرغريت في هذا الدرج ووضعت معها القفاز الذي تراهُ ولا ازال من حين الى آخر اراجع في مخيلتي هذه الحادثة فلا املك نفسي من الحزن والاسف • وانا اود ان اعلم هل فعلت مرغريت ذلك حباً لي حقيقةً لتنيلني ذلك المال بعد ان ترثهُ وتعيش معي سعيدة كما قالت او كانت تحتجّ بذلك سعياً وراء غاية لا اعلمها • وهذا ما لم اقدر على حلهِ فلا ازال في غمٍّ وحزن عظيمين

قال الراوي وكنت اسمع حديث صديقي ارمان وانا في غاية التأثر وكنت قد اخذت القفاز بيدي اقلبهُ بين اصابعي فلما انهى حديثهُ رأيت ورقةً صغيرة سقطت من داخل القفاز ورأى ذلك ارمان معي فهجم عليها كالذئب الضاري وفتحناها معاً فاذا فيها ما يأتي « يا املي ارمان — اني ارتكبت امراً فظيعاً وما ذاك الا لاني لاسعادة لي بدونك ولا سعادة لك بي ان لم يكن لديك من المال ما يسدّ حاجتك فقد فعلت ما فعلتهُ لانيلك المال مع قلبي ولكن خاب مسعاي ففقدت شرفي وسعادتي • فتسخط عليَّ اذا شئت او سامحني اذا كان في قلبك ما يدلك اني ولو اخطأت فانما فعلت ما فعلت لاجل حبك »

فما كاد يتمّ تلاوة هذه الاسطر حتى تحدرت دموعهُ وشرق بالبكاء ثم اكبَّ على الرقعة يقبلها ويغسل القفاز بدموعهِ • وعلمنا انها رمت اليهِ بهِ في تلك الساعة الحرجة لتوصل رسالتها هذه وقد كتبتها حين ذهب الفتى لاحضار الشرطة

ولم ادع شيئاً مما استطعت اليهِ السبيل لتعزية ارمان وتسليتهِ وكان ينظر اليَّ نظرة الصديق المحب ويقول قد اعلمتني باكتشافك هذه الرسالة ما شغل افكاري اياماً طوالاً فاشكرك ايها العزيز ولا اشك ان الله قد ارسلك لتجبر قلبي الكسير

ولا ازال ازور ارمان ونحن كلما اجتمعنا نذكر تلك الحادثة بتأثر شديد ولا يزال محافظاً على القفاز والرسالة محافظتهُ على حياتهِ